سلسلة

اللهم قوِّ إيماني

[٩]

وتلك الأيام

تأليف : د. على راشد

ريشة : أسامه أحمد نجيب

دار الفكر العربي

obeikandl.com

عندما نظرَ الأسوانى الأَصيلُ «هلال صالح» منْ نافذةِ قطار (أسوان - القاهرة) وهُوَ يسيرُ بسُرْعتهِ المعْهُودة، وأصوات حركةِ عجلاتهِ على القُضْبانِ الحديديَّةِ ذات الرِّتم السَّريع المزْعِج؛ تابعَ مناظرَ الحقُول والأَشْجار والنَّخيل وأعمدة التِّلغراف بأسْلاكها المعرُوفة وهى تمرُّ الواحدُ تلْوَ الآخر. وجلَسَ بجواره ابنُهُ الوحيدُ «حسَنٌ» وقدْ أسند رأسَهُ الصَّغير على جسدِ أبيهِ وراحَ يغطُّ فى النَّوم. وكما تابعَ الرَّجُلُ - ابنُ الخامسة والأربعين - بعينيه تلك المناظرَ المتكرِّرة؛ تابعَ بخياله مناظرَ حياتهِ السَّابقة، فشاهدَ منْ نافذةِ ذكْرياتهِ رحيلَ والده الشَّيخ صالح مبكرًا، وأُلقيتْ عليْهِ مسئوليَّةُ الأُسرة وهُوَ ما زال فتًى فى ريْعانِ شبابه. فسَعَى وكدَّ بكلِّ إمكاناتهِ وقُدْراتهِ ليوفرَ لأسرتهِ سُبُلَ العيْش، وأخذَ على عاتقه إتمام زواج

أخواته البنات الخمس، الواحدة تلو الأخرى، حتى انتهى من هذه المهمة الثقيلة، وعندما انتبه لنفسه وحاجاتها وجد أن قطار الزواج يكاد أن يفوته، فهو فى أواخر الثلاثينيات من عمره، وأقرانه من أهل بلدته قد تزوج معظمهم فى أوائل سن العشرين من أعمارهم، ولكنه أدرك آخر عربة فى قطار الزواج، فتزوج من «فرحة» هذه الفتاة السمراء حلوة القسمات، جميلة الشمائل، طيبة الأصل، والمحافظة على دينها، فكانت تلك الزوجة بالفعل هى فرحة حياته وبهجتها، وقضى معها بضعة أعوام هى أجمل أيام عمره، وأنجبت له ولدهما الوحيد «حسن»، فكانت نعم الزوجة الصالحة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة».

ولكن شاءت الأقدار أن تحرم «هلال» من فرحة الدنيا، فرحلت «فرحة» إلى رحمة ربها بطريقة مفاجئة فى حادث مرورى، وكانت صدمة عنيفة للرجل وزلزالا هائلا هز حياته وكيانه، وعاش بعدها أياما وأسابيع وشهورا قاسية ومرة، ففى كل مكان له فيه ذكرى مع زوجته الحبيبة الراحلة، وأخيرا قرر أن يأخذ ابنه حسن - ابن الخامسة من عمره - ويرحل من بلدته الحبيبة أسوان إلى القاهرة بزحامها وصخبها ليبعد عن ذكرياته وجروحه وليتفرغ لتربية ابنه «حسن»، أغلى ما تبقى له - من ريحة المرحومة -.

وعندما وصل إلى القاهرة والتقى بأحد أقاربه، استطاع هذا القريب أن يوجد له عملا مناسبا وهو حارس (بواب) فى عمارة جديدة فى حى «مصر الجديدة» الراقى المعروف.

وسعد القادمُ من جنوب الصّعيد بعمله الجديد وحمد ربّهُ على نعمه. وأوجد لهُ مكانًا أسفل سلّم العمارة ليكون سكنًا لهُ ولابنه «حسن» بعد أنْ ستر هذا المكان بقطعة من القماش، ووفّر به ضروريّات الحياة.

واستقرّ الرّجلُ وابنهُ الصّغيرُ فى حياته وفى عمله وأخلص فيه وحاول الإتقان فيه، فكان منذُ صغره مُطبّقًا فى حياته قول الرّسول الكريم صلّى اللّهُ عليه وسلّم: «إنّ اللّه يُحبُّ إذا عمل أحدكُمْ عملا أنْ يُتْقنهُ».

ورزقهُ اللّهُ منْ هذا العمل ما يكفيه، ويكفى تربية ابنه «حسن»، وأحبّهُ كُلُّ سُكّان العمارة لإخلاصه وأمانته وتفانيه فى خدمتهمْ، فسعدُوا بـ «عمّ هلال» – هكذا كانوا يُنادُونهُ – وسعد عمّ هلال بهمْ.

وصار يوْمُ الرّجل – غالبًا – على وتيرة واحدة، فهُو يقُومُ منْ نومه قبْل أذان الفجْر فيتوضأُ ويذْهبُ لصلاة الفجْر فى المسْجد القريب من العمارة الّتى يقُومُ بحراستها، وبعْد الصّلاة يقُومُ بمسْح وتنظيف سيّارات أصْحاب شُقق العمارة، وبعْدها يُعدُّ طعامًا خفيفًا للإفْطار لهُ ولابنه، ويتولّى نظافة سلّم العمارة منْ أعْلاها إلى أسْفلها، ثُمّ يذهبُ إلى السُّوق لشراء حاجيّات سُكّان العمارة (خُضار، بقالة، جزارة، .. إلى غير ذلك) ثُمّ يُعدُّ وجبة الغداء لهُ ولابنه، ليأخُذ بعْد الغداء قسْطًا من الرّاحة، ينتبهُ فيها حسن لزوّارها،

obeikandl.com

المعروف منهم والغريب. وفى المساء يجلس الأب مع ابنه على - دكة - من الخشب أمام باب العمارة ليحرسها وليحكى لابنه بعض الحكايات الدينية المفيدة، ويرسخ لديه - بطريقة غير مباشرة - قيم وأسس الدين الإسلامى، فتشربها الطفل مبكرًا.

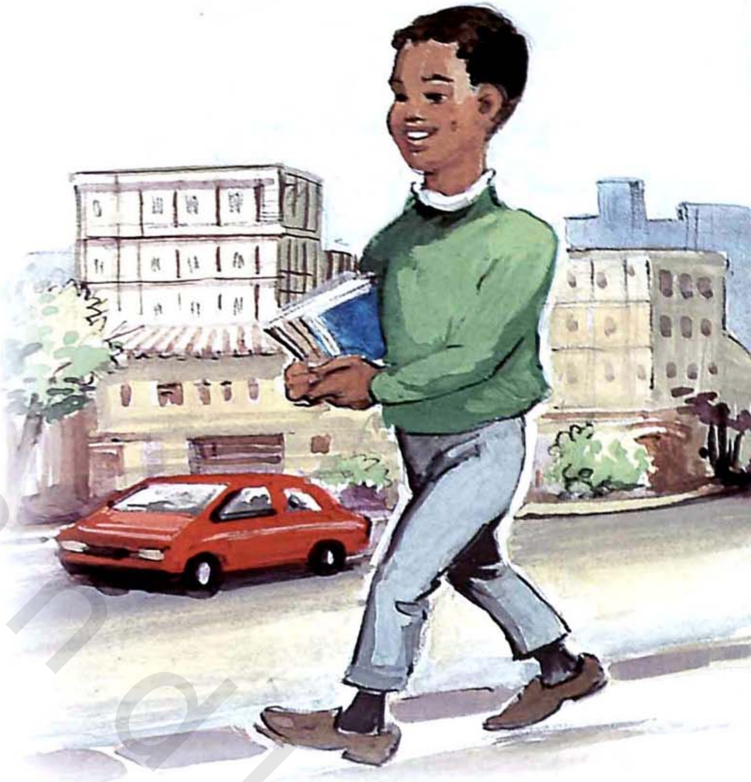

وعندما بلغ حسن السنوات الست من عمره دفعه أبوه إلى الالتحاق بمدرسة ابتدائية قريبة، فالتزم الطفل منذ البداية بالدراسة، وأحب العلم والمعارف الجديدة، وظهرت عليه بوادر النبوغ، ومع مرور سنوات الدراسة الابتدائية تأكد تفوقه الدراسى فكان دائمًا من أوائل التلاميذ، وتنبأ له معلموه بمستقبل باهر لذكائه واجتهاده ولخلقه القويم، والالتزام بسلوكيات دينه.

وعلى الجانب الآخر كان التلميذ شريف البدراوى - وهو من نفس عمر حسن -

obeikandl.com

يسكنْ إحْدى شُقق العمارة الَّتى يحرُسُها «عمّ هلال» ، وهُو ابنُ رجُل الأعْمال «سُليمانْ بك البدْراوى» الَّذى يُعدُّ منْ أثْرياء المنْطقة، وأخْتُهُ الرَّقيقةُ «ماجدة» الَّتى تصْغُرُهُ بنحْو عاميْن.

وأبدى «سُليمان بك البدْراوى» تعاطُفًا لـ «عمّ هلال» لشعُوره بإخْلاصه وتفانيه فى العمَل وكان يُجزلُ لهُ العطاء هُوَ وابنه حسن، الَّذى شعُر بجديَّته وتفوُّقه وتديُّنه، وكذلك ابنتُهُ «ماجدة» تعاطفتْ دائمًا مع «عمّ هلال» وابنه «حسَن» فكانتْ تشْعُرُ بسعادة غامرة وهى تقفُ معهُما علَى سُلَّم العمارة ليتحدَّثوا فى أمُور وموضُوعات شتَّى.

وكانتْ «ماجدة» تستفسرُ منْ «حسَن» عنْ بعْض الأسْئلة

والمسائل الدراسيّة الخاصّة بها، فكان يُجيبها الفتى بإجابات كافية شافية، تشعرُ معها الفتاةُ الصغيرةُ بقدراته العقليّة الفذّة، وبتفكيره العلميّ المرتّب، وطلاقة ودقة أفكاره.

أمّا شريف البدراوى - التلميذُ بإحدى المدارس الخاصّة - فهو على عكس أبيه وأخته بل وعكس كلّ سكّان العمارة، يحملُ للفتى النّاجح المجتهد «حسن» كلّ حقد وضغينة وعداوة، فابنُ «البوّاب» دائمًا فى تفوّق ملحوظ ومنْ أوائل النّاجحين، أمّا هو ابنُ الثّرىّ ورجل الأعمال» فهو دائمًا فى المؤخرة الدّراسيّة، وإذا نجح يكونُ نجاحًا مبتورًا، فهو غالبًا ما يرسبُ فى مادّة دراسيّة أوْ أُخرى، ويدخلُ ملحقًا يؤدّى امتحانهُ مع بداية العام الدّراسىّ الجديد. وابنُ «البوّاب» على خُلق يشهدُ له الجميعُ، وابنُ الثرىّ خُلقهُ سيئٌ يعلمهُ الجميعُ - وابنُ «البواب» يستذكرُ دُروسهُ على «طبْليّة» خشبيّة وعلى ضوء ضعيف صادر منْ مصباح كيروسينى، وابنُ «الثّرىّ ورجل الأعمال» لديه كافّةُ الإمكانات وحُجرةُ مكتب خاصّة مُجهّزة بكلّ التجهيزات الحديثة منْ أجهزة تهوية وإضاءة إلى غير ذلك، إضافةً إلى الدّروس الخصُوصيّة التى يتلقّاها منْ أفضل المعلمين، ومع ذلك فالنتائجُ متدنيةٌ كما هى. وأبوهُ (سُليمان بك البدْراوى) دائمًا وأبدًا يُوجّهُ إليه اللوم والتّوْبيخ والسُّخرية، ويُقارنُ بينهُ وبيْن «حسن» ابن «عمّ هلال» بإمكانيّاته المتواضعة، فهُو فى المقدّمة علمًا وخُلقًا وتديُّنًا، أمّا هُو وبكلّ الإمكانيّات المتاحة، وبكلّ المُساعدات الدّراسيّة فى المُؤخّرة فى علمه وخُلقه ودينه. وأدّتْ هذه المُقارنةُ الدّائمةُ إلى ردّ فعْل عنيف منْ شريف لـ «عمّ هلال» وابنه «حسن»،

obeikandl.com

بالغلظة فى التَّعامُل، والسُّخْرية منْ فقْرهما، والاستهزاء منْ ملابسهما الَّتى غالبًا ما تكونُ من الملابس القديمة الَّتى يستغْنى عنْها أهْلُ العمارة.

وفى أحد الأيَّام كان «عمّ هلال» يُعانى منْ مرض أقْعدهُ عن القيام بواجباته المعتادة، فقام ابنُهُ حسنٌ بتلْك الواجبات، وعندما أخذ فى تنْظيف - ومسْح - سلَّم العمارة إذا بشريف يراهُ فى هذا الوضْع، فأخذ يسْخرُ ويستهزئُ به ويتَّهمُهُ بالتَّقصير فى تنظيف السُّلَّم، فيردُّ عليه حسنٌ بأدب:

- أمْرك يا شريف بيه.. سوْف أقُومُ بإعادة نظافته ومسْحه.

فقال شريف بشماتة:

- لا يكْفى .. بلْ تُعيدُ نظافتهُ مرَّتين ..

- حاضرْ يا شريف بيهْ..

وأثار أدبُ الفتى حفيظة الشَّابِّ الأرْعن، فافتعل الغضب، وكأنَّ الفتى المؤدَّب رفض أمر النَّظافة، فرفع يدهُ ولطم خدَّ «حسن» صارخًا:

- أترفُضُ أمْرى يا كلْب؟

وانسحب الشَّابُّ الأرعنُ بعْد فعلته النَّكراء، بعد أنْ أفرغ غلَّهُ بهذه اللَّطْمة، وفُوجئ «حسنٌ» بهذه اللَّطمة، وهُو لمْ يفْعلْ شيْئًا يستحقُّ عليْه هذه الإهانة البدنيَّة والنفسيَّة..

فَفَرَّتْ دَمعةٌ مِنْ عَيْنِ الفَتَى المظلُوم. وكَانَتِ الفَتَاةُ الرَّقِيقَةُ «مَاجِدَة البدراوى» خلفَ بَاب شَقَّتِهَا، وَاستمعَتْ لِلموْقِفِ مِنْ أولِهِ إلَى نِهَايَتِهِ، وَبَعدَ ذهَابِ شرِيف فتحتْ «مَاجِدَة» البَاب.

وما أنْ وجدتْ «حسن» والدموعُ في عينيْه، فإذا بالدُّموع تنْهمرُ أيْضًا منْ عيْنيها، وأخرجتْ منديلها ومسحتْ دُمُوع الفتى وهى تقُولُ: - أرجُوك يا حسنُ أنْ تُوقف هذه الدُّمُوع.

فشعُر «حسن» بالارتباك الشَّديد، وتحولتْ مشاعرُ الذُّل لديْه إلى مشاعر السَّعادة بهذه المواساة الرَّائعة من الفتاة الرَّقيقة الَّتى تبْكى لبُكائه فقال: - واللَّه العظيم يا ماجْدة هانم لمْ أرفُضْ أوامرهُ..

وقاطعتْهُ الفتاةُ طيبةُ القلْب وقالتْ لهُ تُعلنُ براءتهُ بوصْفها الشَّاهدة الوحيدة للموْقف:

obeikandl.com

- لا داعى أنْ تُقسم يا حسن فلقدْ سمعْتُ ورأيْتُ الموقف كلّهُ. وسوف أخبرُ أبى بما حدث.

وبسرْعةٍ ردَّ حسن عليْها قائلا:

- لا .. أرْجُوك يا ماجدة هانمْ، لا تُخْبرى سُليمان بيه، فإنَّ هذا سيجْعلُ شريف بيه يزدادُ فى الإساءةَ لى ولوالدى.

فقالت الفتاةُ وقدْ حلّتْ الابتسامةُ الرّقيقةُ محلَّ الدُّمْوع على وجْهها الجميل:

- سأفعلُ ما تُريدُ بشرْط أنْ تنسى ما حدث، وأنْ تحلَّ الابتسامةُ محلَّ هذا الأسى الّذى يكْسُو وجْهك.

وابتسم حسن ابْتسامةً حُلوةً أسعدتْ ماجْدة سعادةً كبيرةً.

وتمْتم الفتى وهُو يهْبطُ منْ على السُّلّم بيْنهُ وبيْن نفْسه:

صدقْتَ يا ربّى: ﴿فإنَّ مع العُسر يسْرا (٥) إنَّ مع العُسْر يُسْرا (٦)﴾ (الشرح).

ومرّت الأيّامُ والشُّهُور والسّنُون، وظهرتْ يوْمًا ما نتائجُ الثّانويّة العامّة. فكان «حسن هلالْ صالح» منْ أوائل القسم الأدبىّ، بينما كان «شريف سُليمان البدْراوى» من الرّاسبين. وقسا عليْه والدُهُ قسْوةً شديدةً، وعايرهُ مُعايرةً كبيرةً، وازداد منْ توبيخه ولوْمه على هذا الرُّسُوب بينما حسن «ابنُ البوّاب» منَ الأوائل، وجُنَّ جُنونُ شريفْ، فطالما بقى «ابنُ البوّابُ» فى العمارة سوْف تبْقى هذه المُقارنةُ إلى الأبد. وصمّم على التّخلّص نهائيًا من

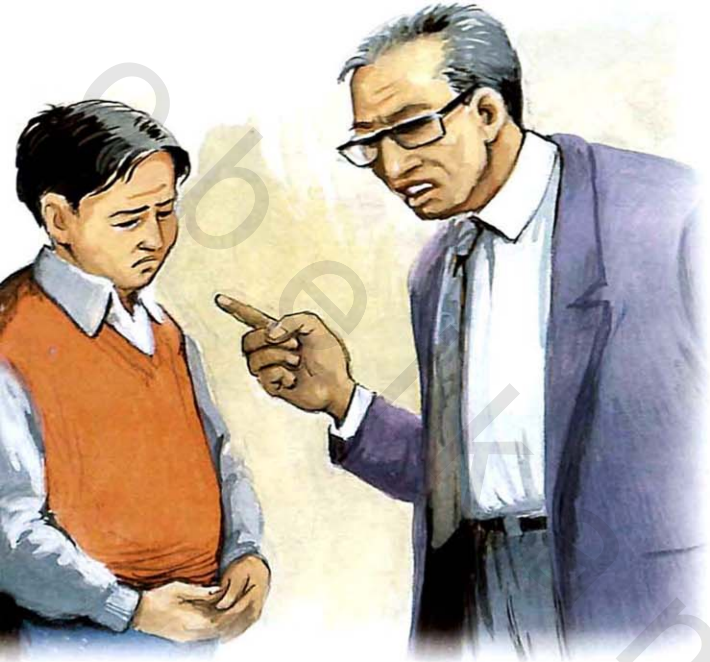

البوّاب وابنه، ولكنْ كيف سيقومُ بذلك؟ ..
لا يعْرِفُ.

وفى أثناء جلْسةٍ ليليّةٍ مع أصْدقاءِ السُّوءِ وهُمْ يُدخّنُون السّجائرَ المحشوّةَ ببعْضِ الموادِّ المخدِّرة، حكى شريف لأصْحابه أزمتَهُ مع أبيه وابن البوّاب، فقال زعيمُهُم والعقلُ المدبّرُ لتحرُكاتهمْ «زُهيرْ أبُو المعاطى» وابتسامةٌ بلهاءٌ خبيثةٌ تبْدُو على شفتيْه: - بسيطة، يُمكنُ إزاحةُ البوّاب وابنه منْ عمارتكُمْ فى يوْمٍ وليْلةٍ..

فردّ شريف: - كيف وهُما موْجُودان منذُ أكْثر منْ ثلاث عشْرة سنةً؟

وبنفْس الابتسامة البلْهاء الخبيثة شرح الشّرّيرُ «زُهير» لتلميذه فى الشّرّ «شريف» الخطّةَ فضحك الأخيرُ وصاح فرحًا: هىَّ دى..

وشرع الشّابُ الأرْعنُ فى تنْفيذ الخُطّة التى لقّنهُ إيّاها الزّعيمُ «زُهير» فاختار وقْتا كانَ أبُوه «سُليمانْ بك البدْراوي» فى سفرٍ خارجَ القُطْرِ، وانتهز ساعةً يعلمُ فيها بعدمِ وُجود «حسَن» نادى عليْه، فأسرعَ «عمُّ هلال» إليْه مُلبيًا:

- نعمْ يا شريفْ بيه.

- أين حسنٌ؟ أريدُهُ أنْ يشترى لى شيئًا.

- واللهِ يا بنى حسنْ غيرُ موْجُود، ويُمكننى أنْ أقُوم أنا بهذه المُهمَّة.

فأعطاهُ شريف نُقُودًا، ووصفَ ما يُريدُ أنْ يشْتريهُ. وذهب «عمُّ هلال» ليشْترى ما يُريدُهُ الشَّابُ الخبيثُ النيَّة الفاسدُ الطَّويَّة، وبسُرْعة دخل شريف إلى مكان سكن البوَّاب وابنه، وفى كرْتُونة مليئة بكُتُب دراسيَّة تخصُّ حسن دسَّ ساعتهُ الذَّهبيَّة، وخرج كما دخل مُسْرعًا.

وفى نفْس اللَّيلة ترك الخبيثُ سيَّارتهُ غير مُقفلة بالمفْتاح، وفى الصَّباح، وفى وُجُود البوَّاب وابنه حسن افتعل شريف موقفًا بأنَّ سيَّارتهُ فُتحتْ بفعْل فاعل وأنَّهُ مُتأكِّدٌ أنَّهُ قفلها بالأمْس بالمفْتاح، وعندما قام بتمثيليَّة تفْتيش السَّيَّارة أعلن غاضبًا أنَّ ساعتهُ الذَّهبيَّة الَّتى تُقدَّرُ بآلاف الجُنيْهات والَّتى أهْداها لهُ والدُهُ بمُناسبة يوْم ميلاده بعْد شرائها منْ سُويسْرا؛ قد اخْتفتْ، وعبثًا حاول العُثُور عليْها بمُعاونة «عمّ هلال» و «حسن» دُون جدْوى، فأعْلن شريفْ أنَّه لابُدَّ منْ إبلاغ الشُّرْطة، وبالفعْل اتَّصل الشَّابُّ الخبيثُ بالشُّرْطة الَّتى جاءتْ على الفوْر، وبدأتْ تستفْسرُ منْ شريف عنْ أسْباب بلاغه ومنْ يتهمُ؟ فقال الشَّابُّ دُون خجل: أتهمُ البوَّاب وابنهُ حسنْ، فلا أحد غيرهُما يقْتربُ من سيَّارات العمارة.

obeikandl.com

وتجهَّم وجْهُ «عمِّ هلال» وقال فى عتاب:

- عيبٌ يا شريف بيه .. عيبٌ .. نحنُ أشرافٌ وأُمناءُ ونخدمُكم أكثر من ثلاث عشْرة سنةً ولمْ يشْتك أحدٌ منَّا، فكيْف تتهمُنا هذا الاتهام الباطل؟

فقال الخبيثُ: لقدْ سألنى حضْرةُ الضَّابط عنْ منْ أتَّهمُ، ولا أجدُ غيركُما محط اتهام.

فقال الضَّابطُ للبوَّاب: أيْن تسْكُنُ أنت وابنُك؟

فأجاب عمُّ هلال: هُنا فى هذا المكان تحْت سُلَّم العمارة.

فأمر الضَّابطُ أحد جُنُود الشُّرْطة بالذَّهاب إلى داخل أسْفل سُلَّم العمارة ويقُوم بالتفْتيش. وبعْد بُرْهة خرج الجُنْدىُّ حاملاً كرْتُونة الكُتُب الدِّراسيَّة وفى يده السَّاعةُ الذَّهبيَّةُ التى أدْلى بمواصفاتها صاحبُها شريف البدْراوى، وصاح:

- تمامْ يا فندمْ وجدْنا هذه السَّاعة الذَّهبيَّة فى أسْفل الكُتُب داخل هذه الكرْتُونة.

وصاح شريف بافتعال:

obeikandl.com

- هذه ساعتي المفقودة يا حضرة الضابط، ولقد سرقها هذا السارق الحقير (وأشار إلى حسن) وخبأها أسفل كتبه.

وصدم «عم هلال» صدمة عنيفة لم يستطع أن ينطق بأية كلمة. وألجمت المفاجأة الفتى البريء، ولكنه بعد برهة صاح:

obeikandl.com

- لا يا سيادة الضَّابط، أنا لمْ أسرقْ شيْئًا .. لمْ أسرقْ شيْئًا .

فردَّ الضَّابطُ: إذا كُنت لمْ تسْرقْ شيْئًا فمن الَّذى وضع هذه السَّاعة أسْفل كُتُبك؟

فقال المظلُومُ: لا أدْرى.

- هلْ هى ساعتُك؟

- لا ليستْ ساعتى.

- فما تفْسيرُ وُجُودها بين حاجياتك؟

- لا أدْرى .. لا أدْرى .. ولكنَّنى برىءٌ لمْ أسْرقْ شيْئًا.

- قُلْ ما تُريدُ فى محْضر قسْم الشُّرطة:

وأشار إلى جُنُود الشُّرْطة قائلًا:

- اقْبضُوا على هذا المتَّهم، (ثُمَّ وجَّه كلامهُ إلى شريفْ):

- تعال معنا حتَّى نأْخُذ أقْوالك فيما حدث.

فردَّ الخبيثُ - أمْرُك يا سيادة الضَّابط..

وانقضَّ جُنُودُ الشُّرْطة فأمْسكُوا بحسن، وأخذُوه قسْرًا إلى الجُزْء الخلْفىِّ لعربة الشُّرْطة وهُو يصيحُ: - أنا برىءٌ .. أنا لمْ أسْرقْ شيْئًا..

obeikandl.com

وانْتهى هذا المشْهدُ المؤْلمُ باختفاء عربة الشُّرْطة وبها حسن، وتابعهُمْ بسيَّارته الشَّابُّ الخبيثُ شريف، ولمْ تستطعْ ساقا «عمّ هلال» أنْ تتحملا هوْل ما حدث فجلس على الأرْض يبْكى وهُو يقُولُ: حسبى اللَّهُ ونعْم الوكيلُ .. حسْبى اللَّهُ ونعْم الوكيلُ!!

منْ نافذتها رأتْ «ماجدة البدْراوى» كُلَّ ما حدث وصُعقتْ منْ تدْبير أخيها لهذه المكيدة إلى الفتى الطّيب البرىء «حسن» وأشْفقتْ على أبيه وهُو بحالته هذه، واسْتنتجتْ أنَّ وراء هذه التَّمثيليَّة الشّريرة عقلاً مُدبرًا يفُوقُ عقل أخيها، فنزلتْ إلى الأب المصْدُوم، وأخذتْ تُواسيه، وطمأنتْهُ أنَّها ستتصرَّفُ رغْم سفر والدها إلى الخارج.

وتوجَّهت الفتاةُ الطَّيبةُ إلى بيت صديقتها «أمل حامد الغرباوى»، وهى زميلةُ دراسة، يعْملُ والدُها مُستشارًا فى إحْدى المحاكم، وسردتْ «ماجدة» للمُسْتشار «حامد الغرباوى» كُلَّ الموْضُوع، وما سبقهُ منْ أحداث، وأقسمتْ أنَّها عندما فتحتْ عينيْها على هذه الدُّنْيا لمْ تجدْ منْ «عمّ هلال» وابنه «حسن» إلا كُلَّ خيْر وإخْلاص وأمانة فى العمل، وهى واثقةٌ منْ براءة الفتى، وأنَّه لوْ كان والدُها موْجُودًا لما حدث كُلُّ ذلك.

وطمأنها المسْتشارُ «حامد» وأوضح لها أنَّهُ زار أباها عدَّة مرات، ويعْرفُ «عمّ هلال» وابنهُ حسن، ويشْعُرُ بما يمْتلكان منْ خُلُق وإخْلاص وإيمان، وأوضح لها قوْل الله تعالى ﴿إنَّ اللَّه يُدافعُ عن الَّذين آمنُوا ... (٣٨)﴾ (الحج)، والدَّليلُ على ذلك أنها جاءتْ إليْه لتبْحث عنْ وسيلة لإنقاذ هذا المتهم البرىء من الورْطة الَّتى أوْقعهُ فيها أخُوها شريف.

وَطَلَبَ مِنْهَا عِندَمَا يَكُونُ شَرِيف بِالمَنزِل أَنْ تُخبِرَهُ هَاتِفِيًا لِيحضر بِنَفْسِه وَيقَابِلهُ.
وَبِالفِعْل حَضَرَ شَرِيف وَهُوَ يَحْمِلُ إحسَاسَ المنتَصِرِ، وَزَهْوَ المنتَقِمِ الَّذى أطاح بعدوِّه وهزم خَصْمَهُ اللَّدُود، وأخبرتْ «ماجدة» المستشارَ «حامد» بوصُول أخيها شريف. ثمَّ واجهتْ هذا الأخَ الشِّريرَ بمَا فَعَلَ، وَتَوسَّلتْ إليْه أنْ يَتَنَازَلَ عَنْ بَلاغِه ضِدَّ حَسَنْ هلال. فرفض رفْضًا بَاتًا وَسَخَرَ مِنْ طَلَبِهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أنهَّا تَعْلَمُ حَقِيقَةَ الأَمْرِ، وَأنَّهُ هُوَ المدبِّرْ لما حدث تخلُّصًا

من الفتى البرىء، فنهرها بشدة وهددها بالعقاب البدنى الذى لم تره من قبل فى حياتها.

وحضر المستشار «حامد الغرباوى» وبصحبته ابنته أمل، وواجه شريف بخطورة ما فعل، فأنكر شريف تدبيره لهذا الأمر، ولكن المستشار «حامد» أوضح له أنه سيوكل محاميا كبيرا يستند على التاريخ المشرف لـ «عم هلال» وابنه، وأنه سيستشهد بكل سكان العمارة، بل سيجعل المحامى يوجه تهمة تدبيره لهذه المكيدة للفتى الأمين «حسن»، وحينئذ سيخرج من حبسه مرفوع الرأس وستدخل أنت السجن، بتهمة البلاغ الكاذب ومحاولة النيل من مواطن شريف وبرىء. وهنا أعلنت أخته «ماجدة» أنها على استعداد أن تشهد ببراءة «حسن» وبإدانته هو.

فعلم الشاب الشرير أنه يواجه مأزقا، وتساءل عن أفضل تصرف، فأخبره المستشار حامد بأن يذهب فورا ويتنازل عن بلاغه ضد «حسن»، ومن جهته هو سيتصل بالجهات المختصة للإفراج عن الفتى البرىء فورا. فوافق شريف على هذا التصرف ولكنه اشترط أن يرحل البواب وابنه من العمارة، فوعده المستشار «حامد» بتحقيق رغبته هذه، وأنه يعرف مكان عمل مناسب لهؤلاء الشرفاء المخلصين.

وبالفعل تنازل شريف عن بلاغه الكاذب ضد حسن، ورضى «عم هلال» بهذا الحل الذى سينقذ ابنه من تهمة تمس بشرفه وأمانته، ورحلا هما الاثنين إلى حى مدينة نصر حيث يعملان فى حراسة عمارة جديدة يمتلكها أحد أقارب المستشار «حامد».

والتحق حسنٌ بكليّة الحقوق، وكان كعادته مواظبًا على دراسته وحضور المحاضرات واستذكاره للكتب القانونيّة، ومع كلّ هذا كان يُساعدُ والدهُ في كلّ واجباته من حراسة ونظافة السّلم إلى تنظيف السّيارات الخاصّة بالسّكان، وسعد السّكانُ بعمّ هلال وابنه، ولم يكُنْ بينهُمْ شريفٌ آخرُ.

وأحس سكّانُ العمارة الّتى كان يحرُسُها .. هلالٌ وابنُهُ في حيّ «مصر الجديدة»، بأنّهُمْ فقدُوا الأمْن والأمان، كما فقدُوا البركة، فرغْم توافُر حارس جديد إلا أنّهُمْ في غُضُون شُهور قليلة حدثتْ عدّةُ كوارث لمْ تحدُثْ في السّنوات العديدة السّابقة: فقدْ احْترقتْ إحْدى الشُّقق وأحرقت النّيرانُ كُلّ ما فيها. وبعْد ذلك بقليل تمّتْ سرقةُ شُقّة بالعمارة تركها أصْحابُها وسافرُوا لفتْرة وجيزة، كما اخْتفتْ سيّارةٌ منْ سيّارات العمارة في ظُرُوف غامضة. وأيْقن السُّكّانُ أنّ اللعنات الّتى حلّتْ عليْهمْ كانتْ بسبب رحيل هذا الحارس الطّيب وابنه الأمين.

وذهب البعْضُ إلى عمّ هلال في عمله الجديد كيْ يُعيدُوهُ إلى عمله السّابق فرفض الرّجُلُ وأوضح لهُمْ أنّه اسْتقرّ في هذا العمل الجديد، ولا يرْغبُ في تبْديله.

وتواصل نجاحُ حسنْ هلال صالح في كُلّيّة الحقُوق بتقْديرات عالية، والتحق شريف سُليمان البدراوي بكلّيّة التّجارة وتواصل فشلُهُ الذّريع، فهُو ينْتقلُ من صفّ لصفّ بعْد سنتيْن أو ثلاثة، والتحقتْ «ماجدة» بكُلّيّة الآداب قسم اللُّغة الإنجليزيّة، وكانتْ تحْرصُ منْ حين لآخر على زيارة «عمّ هلال» و «ابنه حسن» وتخرّج «حسن» في كُلّيّة الحقُوق وكان

obeikandi.com

من الأوائل وتمّ تعينُه وكيلاً للنيابة بالقاهرة واستأجر شقّةً مُناسبةً فى حىّ «العبّاسيّة» وعاش هو ووالدُه فيها وودّعا أيّام الشّقاء والتّعب وخدْمة السُّكّان.

وعنْدما فشل شريف البدْراوى مرّةً أخْرى فى الانتقال من السّنة الثّانية إلى السّنة الثّالثة بكُلّيّة التّجارة، وقعتْ بينهُ وبيْن والده مُشادّةٌ عنيفةٌ أدّتْ إلى طرْد الأب لابنه من البيْت، ولمْ يجدْ الابنُ المطْرُودُ سوى أصْدقاء السُّوء ليعيش بينهُمْ وعلى رأسهمُ العقْلُ المدبّرُ «زُهير أبُو المعاطى».

ولمْ يجدْ أصْدقاءُ السُّوء هؤلاء سوى السّرقة للحصُول على ما يلزمُهُمْ منْ أموالٍ للصّرف منْها على احْتياجاتهمْ منْ أكلٍ وشُرْب، وشراء المخدّرات اللازمة لإشْباع حالاتهمُ الإدْمانيّة. وكلٌّ منهُمْ لهُ دورٌ فى خطّة السّرقة، سواءٌ المنازلُ أم المحلاتُ أم السّيّاراتُ، وكان نصيبُ شريف البدراوى هُو قيادةُ سيّارته الّتى أصْبحت العمُودُ الفقْرىّ فى أىّ عمليّة سطْو، فهُو يقُومُ

obeikandi.com

بتوصيل أفراد العصابة قريبًا من مكان العملية، ثم ينتظرهم بعد إتمامها ليهرب بهم من المكان بأقصى سرعة.

ولأن الله سبحانه وتعالى «يمهل ولا يهمل»، فقد نجحت بعض عمليات السطو، وجنى اللصوص آلاف الجنيهات من حصيلة هذه العمليات. واشتكى الناس المتضررين من هذه العمليات، ووصل الأمر إلى وزير الداخلية، الذى أصدر أوامره بضرورة القبض على أفراد هذه العصابة. وجاءت التحريات من أفراد الشرطة السرية بأن هناك عملية كبيرة سيقوم بها أفراد تلك العصابة، فوضعت الأمكنة حول مكان العملية وعند ساعة الصفر هجمت العصابة على المحل الضخم المستهدف من هذه العملية فوجدوا الشرطة فى انتظارهم فتم القبض عليهم جميعًا فى حالة تلبس، حاول شريف الهروب بسيارته ولكنه لم يتمكن، وتم القبض عليه أيضًا. وسيق أفراد العصابة إلى قسم الدقى، ودخل كل واحد منهم بمفرده على وكيل النيابة لاستجوابه مبدئيًا، وكانت المفاجأة الكبرى، دخل المتهم شريف سليمان البدراوى على وكيل النيابة حسن هلال صالح وعرفه حسن من الوهلة الأولى، ولكن شريف لم يتعرف عليه فى بادئ الأمر. وفى غير شماتة وبكلمات ملؤها الأسى قال وكيل النيابة:

- لم أنت معهم يا شريف بيه؟

واستعجب الشاب من أن وكيل النيابة يعرفه ويناديه بهذا الاحترام وقال:

- أتعرفنى سيادتك؟

- نعمْ أعْرِفُكَ وكُنْتُ لا أتمنَّى أبدًا هذا الموقفَ. انْظُرْ إلى اللَّوحةِ الَّتى على مكْتبى.

فنظرَ شريفٌ على اللَّوحةِ فوجدَ عليْها اسمَ صاحبِ المكتبِ: حسن هلال صالح وكيل النِّيابةِ.

وصُعِقَ الشَّابُ منْ هوْلِ هذهِ المُفاجأةِ، ودارَ شريطُ الذِّكْرياتِ أمامَ عينيْهِ، وهُوَ يلطمُهُ على خدِّهِ على السُّلَّمِ دُونَ أدْنى خطأ، وكذلكَ وهُوَ يتهمُهُ زُورًا بسرقةِ ساعتهِ الذَّهبيَّةِ، وكادَ يُدْخلُهُ السِّجْنَ وهُوَ بريءٌ، وها هُوَ يقفُ أمامَهُ وهُوَ مُجْرِمٌ بالفعْلِ ليْسَ بريئًا، وقُبِضَ عليْهِ ضمنَ أفرادِ العصابةِ متلبِّسًا بجريمتهِ، ومنْ سيستجْوبُهُ؟ ومنْ سيُوجِّهُ لهُ الاتِّهامَ؟ إنَّهُ حسنُ ابنُ عمّ هلال البوَّابِ.

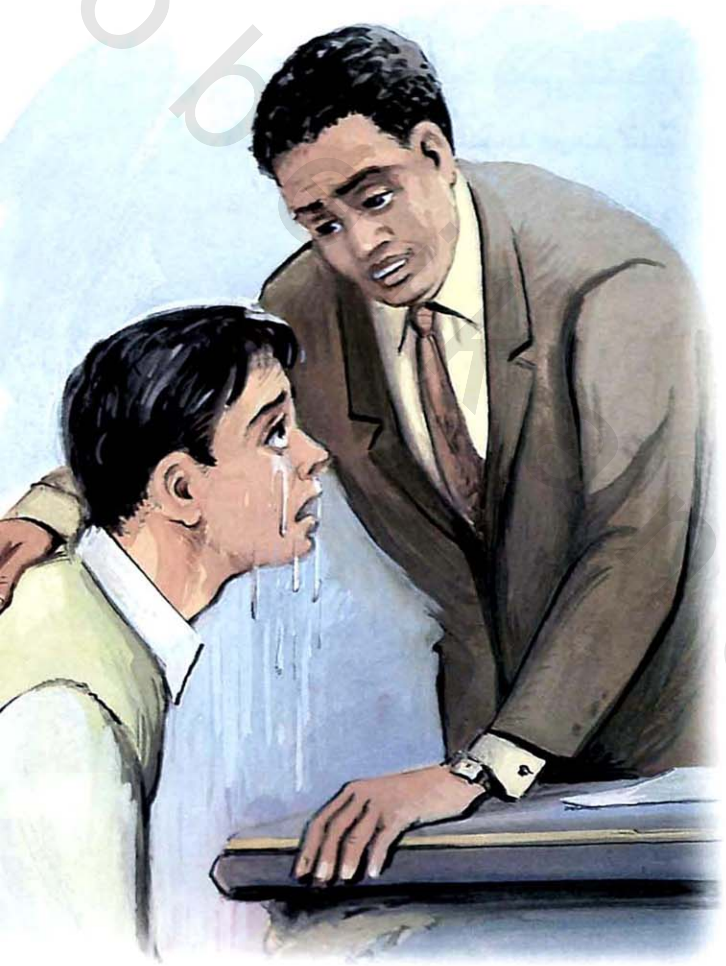

وشعر وكيلُ النِّيابة بما يدورُ فى ذهْنه، فقام وقال لهُ فى رحْمة:

- اجْلسْ .. اجْلسْ يا شريف بيه..

وجلس شريفٌ فى ذهُول منْ هذه المُعاملة الطيِّبة، وكان من المفترض لحْظةُ تصْفية حسابات قديمة، لحظة انتقامٍ منهُ، لأنَّهُ يسْتحقُّ فعْلاً أن ينتقمَ منْهُ.

وبكى شريف ندمًا عنْ كُلِّ ما فعلَ، والَّذى أوْصلَهُ إلى هذه اللَّحْظة، ولسانُ حاله يقُولُ: «سُبحانَ الَّذى أعزَّ العبيدَ بطاعته، وأذلَّ الأسْيادَ بمعْصيته».

وأخذ حسن يُواسى شريف عمَّا هُوَ فيه، فقال لهُ الشَّابُ النَّادمُ:

- لقدْ كُنْتَ أفضَلَ منِّى وأحْسَنَ، مُنذُ أنْ عرفتُكَ حتَّى الموقف الحالىِّ. تتحمَّلُ إساءَتى وَسُخْريَتى منك، تُقابلُ إهانتى

لك ولطم وجهك بالصبر، أدبر لك تهمة سرقة ساعتي الذهبية، وأنا الذي وضعتها أسفل كتبك، وأصر على إبعادك أنت ووالدك الرجل الطيب «عم هلال» والآن عندما جاءت لحظة الانتقام وأنت قادر عليه تعاملني هذه المعاملة الكريمة لم يا حسن بيه؟ لم؟

- لأن ديني يا شريف بيه أمرني بذلك، أمرني بألا أقابل الإساءة بالإساءة وأمرني بالعفو عند المقدرة، قال تعالى: ﴿والعافين عن الناس﴾ وأما سمعت قوله عز وجل: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١٩٩)﴾.

فأكمل شريف: صدق الله العظيم .. حسن بيه، إنني أعلن الآن توبتي وإن جاءت متأخرة، وليس المهم الآن عندي محاكمتي وصدور الحكم بسجني فهذا شيء لابد منه بسبب تقصيري في حق نفسي وأسرتي ومجتمعي، وإنما المهم الآن هو تدارك تقصيري في حق الله عز وجل بالتوبة النصوح. والآن أيضا فقط أدركت معنى قول الله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ صدق الله العظيم.

وابتسم حسن عند سماعه هذه الكلمات الصادقة وقال:

- الحمد لله .. رب ضارة نافعة يا شريف بيه.

- نعم .. نعم إنني أشعر الآن أني أصبحت إنسانا جديدا، وهذا من فضل الله ثم بفضل موقفك هذا.

obeikandl.com

بلْ هذه كانت الأُمنيةَ الكبيرةَ الَّتى يتمنَّاها هذا الشَّابُّ المؤمنُ «حسن» ولكنَّ والدَهُ «عمّ هلال» كانَ لهُ رأىٌ آخرُ، حيثُ أوضحَ لولدِه بأنَّ رواسبَ الماضى وذكرياتِ الأمسِ ستقفُ حاجزًا يُكدِّرُ صفوَ هذا الزَّواجِ بيْنَ الحينِ والآخرِ.

واقتنعَ حسنٌ بوجهةِ نظرِ والدِه، واتَّخذَ منْ كُلٍّ منْ شريفٍ وأُختِه الرَّقيقةِ ماجدةَ أصدقاءَ يتلاقوْنَ فى المناسباتِ المُختلفةِ، أمَّا هُوَ فقدْ تقدَّمَ لخطبةِ فتاةٍ هى ابْنةُ جارٍ لهُ، وجدَ فيها كلَّ صفاتِ الزَّوْجةِ الصَّالحةِ.

وصدقَ اللَّهُ العظيمُ

إذْ يقولُ فى كتابِه العزيزِ:

﴿فمن يعمل مثقال ذرة
خيرًا يره (٧) ومن يعمل
مثقال ذرة شرًا يره (٨)﴾
(الزلزلة).

اللهُمَّ قوِّ إيمانى

obeikandl.com